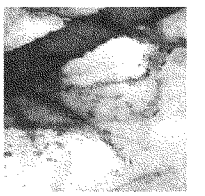

ثلاث قصص

هشام البستاني

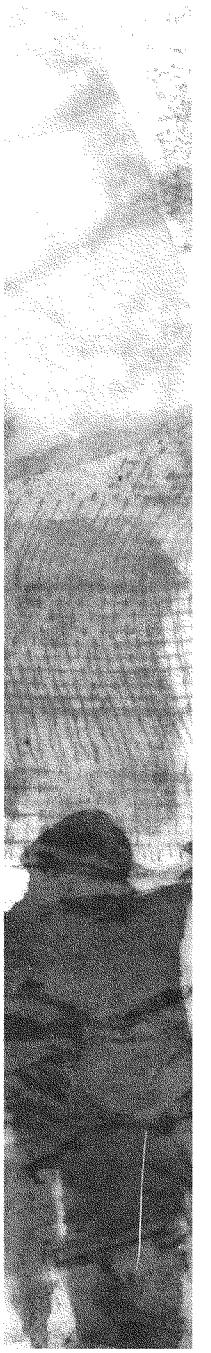

- ١ -

زن ن ن ن ن ن ن ن ن ن...

لا يتوقّفُ أبدًا هذا الطّنين: أحاديثُ هائلةٌ محشورةٌ في رأسي، ومسحوبةٌ من طَرفَيْها، حتى صارت سِلْكًا نُحاسيًا رفيعًا يهتزُّ بلا توقّف. رفيعًا تكادُ لا تَراه، لكنّه هناك، ما إنْ تتعثّر به حتى ينفجرَ لغمٌ أرضيٌّ وتعيشُ بعدها سعيدًا بأطرافٍ صناعيّة.

أنا.

لم.

أَعُدْ.

أَتَحمّل.

أُدخِلُ يدي من أُذُني اليُمنى. أكمشُ، هكذا عشوائيًا، وأسحب: تخرج شقراءُ، تُحرّكُ ذراعيها وساقيها كشفراتِ مراوح في الهواء، وتطلق الشتائم. أُلقيها بعنفٍ على الحائط المقابل، فتتناثر وتسقط على الأرض. مئاتٌ منها يهجمون باتّجاهي: ها هي تتحوّل إلى مظاهرةٍ زئبقيّةٍ ما إنْ أفحَص أحدَ أفرادها حتى يتحوّل إلى اثنين، وهكذا. سأدَعُهُم هناك أسفل الكنبةِ للحظات...

أُدخِلُ يدي من أذني اليسرى. أكمشُ، هكذا عشوائيًا، وأسحب: تخرج دبّابةٌ يدور برجُها بلا توقّف، مُطلِقًا ناره من خرطومٍ منتصبٍ يتحرّك أعلى ـ أسفل ـ أسفل ـ أعلى ـ أسفل. ها قد ملأ جُدراني بالثّقوب. «شو هَ اليومْ الخَرَى..» وتطيرُ الدّبابةُ أيضًا إلى الحائط المقابل، وتتناثر قِطَعُها، فيسقط مِئاتٌ من الجنود الصّغار بالمظلاّت، ما إنْ يلامسوا الأرض حتى ينزعوها ويهجموا باتّجاهي، منضمّين إلى مظاهرة الشّقراواتِ الزئبقيّاتِ أسفل الكنبة التي تركناها قبل قليل.

حسنًا...

هل هناك نهايةٌ لهذا الكابوس؟

صحيح: فلأستيقظْ!

رفعتُ رأسي، فإذا الجدرانُ كما هي، بلا ثقوب، وأنا نائمٌ على الكنبةِ كما يحصل لي عادةً وأنا أقرأ، وعلى الأرض إلى جانبي ملفُّ قضايا الطّلاق الثخين، وكتابُ الشّعرِ النحيفِ المُسمّى.. **وفيتنام و...** لإريش فُريد، مفتوحًا على قصيدة «ماذا تعني الأشياء»:

«حُزمة» تعني جُثّة ملفوفة في حصيرة.

«حصاد» يعني مجموعةً من الحُزَم مصفوفة في حقل.

هل هناك نهايةٌ لهذا الكابوس؟

أعود للنوم، وأحلمُ أنني حُزمةٌ في حقل، تنتظر الحصاد.

- ٢ -

أُخْرِجكِ من رأسي:

أترُكُ أصابعي على إلْيَتَيْكِ

أترُكُ أظافري على حَلَمَتَيكِ

أترُكُ أسناني على رقبتكِ
أترُكُ لساني على شحمةِ أذنكِ
أترُكُ قدميَّ في فمكِ
أترُكُ شَفَتيَّ على استدارةِ نهديكِ
وفجأةً:
أبحثُ عنكِ فلا أجدكِ.
أمّا ذلك السرير الذي تكلّم تحت أجسادنا
فصار تابوتًا،
والشراشفُ الملوّنة كَفَنًا.
لا أحَدَ هناك، لا أحد.
تكونين قد غادرتِ تاركةً عطركِ مُعلّقًا في الممرّ،
وبضع شعيراتٍ على المخدّة،
مرتديةً أعضائي قلادةً على جسدكِ.

❖ ❖ ❖

هكذا كتبَ القاصُّ عشيقتهُ على الورق، وتلاشى.

- ٣ -

العجوزُ القديمةُ تجلس على البلاط القديم،
ملابسها مهترئةٌ ونَظَرُها ضعيف.
حولها حمامٌ كثيرٌ، وأمامها علبٌ معدنيّةٌ مملوءةٌ بحبّاتِ الذّرة.
يأتي أحدُ المارّة، يضعُ نقودًا في يدها، يأخذ علبةً يرمي ما فيها في الهواء فيختفي وسطَ عاصفةٍ من الحَمام للحظاتٍ، ثمّ يمضي.
يأتي آخَرُ، وآخرُ، والعجوزُ تنكمش وتصغُر مع امتدادِ الأيدي وتناقصِ العُلَب.
لن يلاحظَ أحدٌ دمعةً تسلّلتْ من طرف عينها، ولن يأبه أحدٌ بانفجارها غاضبةً عندما صوّرتها سائحةٌ جميلة.
لهذا ظلّت العجوزُ تنكمشُ وتصغُر.
وآخرَ النهار، طارت مع صديقاتها ليَنَمْنَ أسفلَ الجسر، تاركةً خلفها ملابسَ مهترئةً، وعلبًا معدنيّةً مملوءةً بحبّات الذرة، وبشرًا كثرًا ظلّوا يمرّون من المكان، كما كانوا،
بلا انتباه.

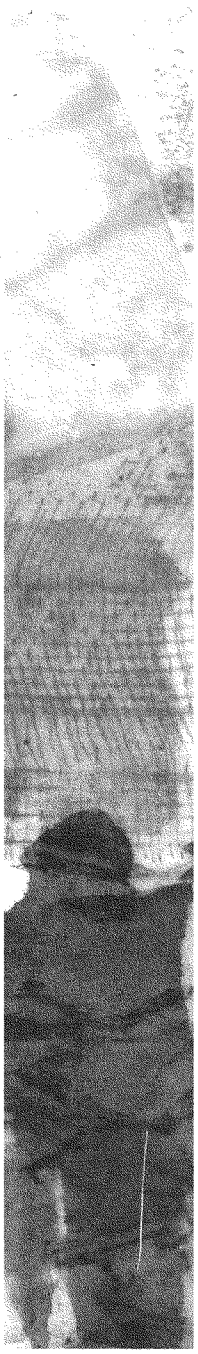

هشام البستاني
كاتب وقاصّ. صدرتْ له مجموعتان قصصيّتان: **عن الحبّ والموت** (بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٨)، و**الفوضى الرتيبة للوجود** (بيروت: دار الفارابي، ٢٠١٠).